محمود محمد طه

الإسلام والفنون

صفر ١٣٩٤ - مارس ١٩٧٤

الاهداء

الى المنفتحين على الله ،
السالكين اليه كل السبل ،
فانه ان من شيء الا وهو
الى الله سبيل ! !
« وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »

بســـــم اللـــه الرحمـــــــن الرحيـــــم

« تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهن •• وان من شيء الا يسبح بحمـــده ، ولكـــن لا تفقهـــون تسبيحهم •• انه كـــان حليماً غفـــوراً •• »

صـــــدق اللـــه العظيـــم

المقـــــــدمــة :

هـــــذه مقدمة كتاب « الاسلام والفنون » وهـــو عبارة عـــن متن محاضرة القيت علـــــى طلبة « كلية الفنون الجميلة والتطبيقية » ، وضيوفهم ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، ١٩٦٨/٩/٢٤ •• ولقـــــد اخذت هـــــذه المحاضرة عــــن الشريط ، وهى تجـــرى بلغة الكلام ، لا بلغة الكتابة •• كذلك وردت فى الاصل ••

ولقـــد اسمينا هـــذا الكتاب : « الاسلام والفنون » •• ولقـــد كان من الممكن ان نسميه : « الفنون والاسلام » ، ولكننا آثرنا الاول لأن تقـــديم كلمة الاسلام فيه توخ للحكمة التى توجب تقـــديم الفاضل علـــــى المفضول ، فذلك أمر لا معـــدى عنه ، ولكننا كنا ، حين تعديناه فى فكرتنا ، وحين هممنا بتسمية الكتاب علـــى النحو المشار اليه آنفا ، كنا نعتذر عــــن هـــذا الصنيع بخطتين اثنتين : كون هـــــذا الكتاب يعنى ، فى المكـــان الاول ، بالفنون ، ثم يضعها موضعها فى الاسلام •• هـــــذه واحدة ، والثانية ان الفن ، والاسلام ، لصيقان ، وتوأمان •• وهـــــذا يقتضى تعريف الفن ، وتعريف الاسلام ••

الفـــــن :

فأما الفن فقـــد سبق لنا أن عـــرفناه فى متن هـــــذه المحاضرة ، وذلك حيث قلنـــا : ان الفن هـــــو وسيلة التعبير عـــن ملكة التعبير •• وقلنا يومها ان ملكة التعبير انمـــا هى الحياة •• والحياة تعبر عــــن نفسها بوسائل مختلفة ، فى مستويات مختلفة •• فهى تعبر عـــن نفسها

بالحركة ، وتعبر عـن نفسها بالغذاء ، وتعبر عـن نفسها بالتناسـل ، كمـا تعبر عـن نفسها بالشـعر ، وبالنثر ، وبالغناء ، وبالـرقص ، وبالنحت ، وبالرسم ، وبالتصوير ، وبالتمثيل ، وبالموسيقى ، وبغـيرها مـن ضروب الطاقة الفكـرية ، والجسدية ، التى تفيض ، وتتبجس ..
فهل يعنى هـذا ان كـل اساليب الحياة للتعبير عـن نفسها فـن ؟؟
نعم !! هـذا علـى التعميم ، وفى جملة الامر ، صـحيح .. بيد أن صـور التعبير التى تمارسها الحياة البـدائية تعتبر فناً فجاً ، وتزيد فجاجته كلما انحصر فى التعبير عـن مجرد نوازع المعدة ، والجسد ..
اننا لا نسمى اساليب الحيـاة ، فى التعبير عـن نفسها ، فنا ، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة ، الا اذا ما دخلت هـذه الاساليب علـى مستوى التعبير عـن القيمة ــ القيمة فى الحياة ــ واعلى قيم الحياة الحرية ..
هناك الطـاقة الحياتية ، وهناك الطاقة العقلية ، وانما بالطـاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة .. فالفن انما هـو تعبير الطاقة الحياتية عـن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة ، الصافية ، القوية الادراك ..
الفن هـو التعبير عـن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، فى آن معـاً ..
والطـاقة الحياتية انما هى اصل الحياة ، فى سـذاجة ، وبساطة .. وهى لا تفلسف ، ولا تتأنق ، ولا تحتفل ، حين تعبر عـن نفسها .. واسـلوبها فى التعبير اسلوب القصـد الصريح ، فى ممارسة اللذة ، واجتناب الالم .. ولكننا نحـن لا نعتبر اندفاعات الشـهوة فى هـذا المستوى فنا مـن الفنون .. وانما الفـن تعبير الشـهوة المحكـومة بالعقل المهـذب ، المروض المنضبط بقـواعد الخلق الرصين .. وانما مـن اجل ترويض ، وتهـذيب ، العقول حمدت مـساعى الفنون ، فى صورها المختلفة ، وبأساليبها المختلفة .. وانما قيمة كـل اسـلوب من اساليب الفنون هى قيمة ما يقربنا مـن تلك الغـاية .. وفى هـذا المضمار يقـع التفاوت بين أفانين الفنون ، وفيـه أيضا يقـع اختلاف

ما بين الفـن والدين ـ الاسـلام •• ومعلوم انـه انما هـو دائماً اختلاف مقدار •• ولقـد تعرضنا لتعريف الفـن فى الاسـطر القليلة الماضية ، ولقـد قررنا هنـاك أن الفـن والاسلام لصيقان ، وهـذا يعنى انهما وجهـان لامر واحـد •• هـذا الامر الواحد انما هـو الحياة •• فالفـن اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• والاسلام اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• ولكـن اسلوب الاسلام اشمل ، واعمق ، وابعد مدى ، من اسلوب الفنون •• ولقـد وردت الاشارة الى الاسلوبين : اسـلوب الفنون ، واسـلوب الاسـلام ، فى الاية الكـريمة : ((سنريهم اياتنا ، فى الآفـاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحـق •• أولم يكف بربك انه علـى كل شىء شـهيد ؟؟)) •• فهـذه آيات الآفـاق ، وآيات النفوس •• وهى جميعها موضوع الفنون ، وموضوع الاسلام •• فأما الفنون فانها تعنى بآيات الآفـاق ، اكثر مما تعنى بآيات النفوس ، ولكـن عنايتهـا بهـذه غـير غائبة •• واما الاسلام فانه يعنى بآيات الآفاق ، ويتخذها مجـازاً الى آيات النفوس ، وعنـايته بهـذه ، وبخاصة فى اخـريات مراقيه ، اكبر واعظم •• وللعلم التجـريبى فى هـذين مجال ، ولكنه ليس هنا بذى بال •• ويكفى فيـه ان يقـال : ان الفـن ، والدين ، والعلم ، متداخلة ، والاختلاف بينها انما هـو اختلاف مقدار ••

الاسـلام :

وعنـد الاسـلام آيـات النفوس مقصـودة بالاصالة ، وآيـات الآفـاق مقصودة بالحـوالة ، بمعنى ان الانسان يعبر علـى آيـات الظـاهر ليصل الى فهم آيـات الباطن ، فينسقها مـع الظـاهر حتى تستقيم له حياته ، وتتعمق ، وتتسع •• وفى الاسـلام الظاهر انما هـو ظل للباطن ـ الكـون الظاهر انما هـو الكـون الباطن فى حالة بروز

وتجسيد •• والاسلام انما يعني الانقياد ، والاستسلام •• وهو يبدأ بمحاولة الحي ان يوجد نوعاً من العلاقة الحميمة بينه وبين البيئة الطبيعية التي يعيش فيها وذلك باقامة نوع من المصالحة ، والمصادقة ، والمودة معها •• أو نوع من التقية ، والمحاذرة ، والخشية منها •• ومن ههنا نشأت العبادة ، ونشأ العلم ، ونشأ الفن ••

ان الوجود المادي ، المحسوس ، انما هو لحن من الموسيقى العلوية •• هو لحن متسق ، منسجم ، مهذب ، لا نشوز فيه ، ولا شذوذ •• ونحن الآن انما نتعلم العلم لكي نستطيع به ان نسير بحياتنا في مصاقبة ، وفي سلام مع هذا اللحن العلوي العظيم •• نحن انما نتعلم العلم الذي يعيننا على تنغيم حياتنا مع بيئتنا •• ولقد علمنا ان هذا العلم لن يكون علم الظواهر الطبيعية ، فحسب ، وانما هو علم الظواهر والبواطن — علم آيات الآفاق ، وآيات النفوس — وبواطن الظواهر تقول : ان الكون المادي ، المحسوس ، انما هو الارادة الالهية جمدت ، وتجسدت •• ان الكون هو مظهر قدرة الله ، تبارك ، وتعالى ، فانه ، تبارك وتعالى ، عندما أراد اظهار المخلوقات احاط بها علماً ، باسمه العالم •• ثم خصص الصورة البدائية لظهورها ؛ وذلك باسمه المريد ، ثم أبرز هذه الصورة ، الى حيز المحسوس ، وذلك باسمه القادر •• وباسم القادر تم تجسيد العلم الالهي •• والعلم الالهي صفة قديمة ، قائمة بذات الله القديمة •• فما هو غيرها ، وانما هو هي ، في مرتبة التنزل ، لتظهر ، لتعرف ••

ان البيئة التي نعيش فيها انما هي بيئة روحية تجسدت ، وكان من تجسيدها السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، واصبح علينا ، لكي نعيش في وئام مع بيئتنا ، ان نعلم ظاهرها — آيات الآفاق ، ونعلم باطنها — آيات النفوس •• قال تعالى ، في ذلك ،

« سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق •• أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » ونحن ، من اجل هذا العلم ، نحتاج العلم التجريبى ، وهذا اكثر تركيزاً على الظواهر ، منه على البواطن •• بل هو يكاد يقتصر على الظواهر وحدها •• ونحن ، من اجل هذا العلم ، نحتاج الفنون ، بكل صورها ، وضروبها ، وهذه موزعة بين الظواهر والبواطن ، وتركيزها على الظواهر اعظم ، ودخولها فى البواطن غير موجه بالنهج الذى يضمن لها التغلغل فى هذه البواطن ، مما يزود الفنان بالقدر الكافى من علم اسرارها ، وانما هى تقتصر على الهامات نفس الفنان ، وموهبته ••

ونحن نحتاج الدين من اجل هذا العلم •• والدين يبدأ بالظواهر ، ويتخذها معبراً الى البواطن •• وهو انما يزيد تركيزه على البواطن كلما تمرس المتدين بمنهاج العبادة ، وكلما روض عقله ، وقلبه ، على ادب الشريعة ، وادب الحقيقة •• « أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » اشارة الى الاستغناء بالبواطن عن الظواهر •• اشارة الى الاستغناء بالله عن جميع الخلق •• وذلك انما يكون عند الاستواء ، حيث لا يبقى ، فى الوجود ، غير العبد ، والرب — العبيد الآخرون موجودون ، ولكن وجودهم لا يتخذ وسيلة الى معرفة الله ، وانما معرفة الله وسيلتها ذاتها — هذه تبدأ عند نهايات البدايات ، ويطالع بها المصطفون ، الأخيار ، فى هذه الدار ، ثم لا تكون لنهاياتها نهايات ، وانما هو الترقى السرمدى ••

الموسيقى :

الموسيقى اسمى الفنون ، واعلاها ، واقدمها •• وهى ، فى حقيقتها القديمة ، هذا اللحن العلوى ، الذى تحرك فى سلمه السباعى ، يحكى

منازل الانسان وهو يسير فى طريق الاغتراب ، ثم يحكيها وهو يسير فى طريق الرجعى الى الوطن القديم •• هذه الحركة هى المحكية فى قوله ، تبارك ، وتعالى : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ❊ ثم رددناه اسفل سافلين ❊ الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » •• فى هذه ثلاث الآيات جاءت صورة الاغتراب ، وصورة العودة من الاغتراب •• هذه الحركة ، فى الهبوط ، وفى الرجعى ، هى حقيقة الموسيقى •• وهى ، فى جميع مراحلها فى البعد والقرب ، ذات سلم سباعى •• مرحلتها الاولى ، فى طريق البعد ، الصفات السبع : الحى ، العالم ، المريد ، القادر ، السميع ، البصير ، المتكلم •• ومرحلتها الثانية الحواس السبع : القلب ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس •• ومرحلتها الثالثة النفوس السبع : الكاملة ، والمرضية ، والراضية ، والمطمئنة ، والملهمة ، واللوامة ، والأمارة •• ومرحلتها الرابعة الايام السبعة : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ، والجمعة ، والسبت •• ومرحلتها الخامسة السموات السبع : السماء السابعة ، والسادسة ، والخامسة ، والرابعة ، والثالثة ، والثانية ، والأولى •• ومرحلتها السادسة الأرضين السبع : الارض الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة •• ومركز هذه هو اسفل سافلين المشار اليه فى الآية الكريمة ، حيث قال ، جل من قائل : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• وقد نزل الانسان هذه المنزلة فى مرحلة التنزل السابعة •• ثم انه استأنف سيره ، فى طريق الرجعى ، من هذا البعد السحيق •• ولقد جاءه الاذن بان يأخذ فى طريق الرجعى ، وذلك حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه : « فتلقى آدم ، من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم •• » وانما

تاب عليه ليتوب — يعني ليرجع ..

وفي أسفل سافلين ، وهو مركز الارض السابعة ، كان آدم في ادنى درجات التجسيد — ذرة غاز الهيدروجين .. ثم انه استأنف سيره في طريق الرجعى فنزل المنازل المختلفة .. وحين دخل مرتبة المادة العضوية ، وظهر في حيوان الخلية الواحدة ، بدأت الحواس بحاسة اللمس (الحس) .. واطرد ترقيه حتى دخل مرتبة الحيوان السوي ، المكتمل .. وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : « فاذا سويته » .. ثم اطرد ترقيه ، ودخل مرتبة البشرية ، وصار له عقل .. فذلك معنى قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » .. ثم انه نزل منزلة التكليف ، حين صار له عقل ، وحين اصبح له في ملكوت الله ذكر ، بعد ان لم يكن .. فذلك معنى قوله تعالى : « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟؟ »

هذه هي الموسيقى في حقيقتها العليا .. هذا اللحن المنسجم ، المتسق ، المهذب الحواشي ، المنطلق في طريقي الصدور والورود — الصدور من موطنه الأول الى موطن البعد والاغتراب ، والورود من هذا البعد آيباً الى موطنه الاول من جديد بعد طول هذا الاغتراب ، وطول هذا البعد — هذا اللحن — هذه الحركة المحتشدة — هو الموسيقى في حقيقتها العليه .. وطريق الأوبة ، من اسفل سافلين ، الى الموطن الاول ، في احسن تقويم ، طريق مرسوم عبر الارضين السبع ، والسموات السبع ، في تعاقب الايام السبعة ، في مراقي النفوس السبع ، والحواس السبع ، والصفات السبع ، الى مرتبة الانسان الكامل ذات المقامات السبعة ..

وفي اثناء طريق العودة ، ومن خلال تعاقب الايام السبعة ، نشأت العناصر المختلفة ، ثم نشأت الحياة ، ونشأت الأديان ، ونشأت

العلوم ، ونشأت الفنون ، وذلك فى الآماد السحيقة ، من الازمنة السحيقة •• ونحن ، فى هذا المجال الضيق ، لا يسعنا الا ان نقفز قفزة كبيرة ، نصل بها الى نهايات البدايات ، حيث الأديان والعلوم التى نألفها اليوم ، وحيث الفنون فى المستوى الذى نعرفه عن الكلمة المنظومة ، والكلمة المنثورة ، وحيث النحت ، والرسم ، والتصوير ، والغناء ، والرقص ، والموسيقى ، والتمثيل ، وبقية ضروب الفنون •• واعرق الفنون ، واعظمها ، واشرفها ، على اطلاقها ، الموسيقى •• وانما يجيء شرفها من امرين : احدهما ارتباطها بالاصوات ، والصوت لازمة لا تنفك عن الحركة ، والحركة اصل الوجود الحادث ، على اطلاقه •• وثانيهما انها تدرك بحاسة السمع •• وحاسة السمع اشرف الحواس السبع (ما عدا القلب والعقل) فهى تلى القلب ، والعقل ، وتجيء بعدها حاسة البصر ، ثم حاسة الشم ، ثم حاسة الذوق ، ثم حاسة اللمس (الحس) •• ويجيء شرف حاسة السمع على حاسة البصر ، وبقية الحواس الاخرى ، من سعة ما تؤدى الى العقل من معلومات ، والى القلب من احاسيس •• هذا ما من اجله قدم السمع على البصر فى سائر آيات القرآن ، واعطى منزلة الشرف فيها ••

السمع يتأثر بالاصوات ويؤديها الى العقل ، والقلب •• والاصوات هى الأكوان جميعها ، المرئى منها ، وغير المرئى ، والمسموع منها ، وغير المسموع •• فانه ما من شيء فى الكون الحادث الا وهو فى حركة لا تنقطع ، حتى اكثف المواد التى نراها ، ونعرفها ، فانها ، فى الحقيقة ، مهلهلة ، مخللة بفجوات تتحرك فيها ذرات تكوينها حركة متصلة كما تتحرك ذرات البخار فى السحابة « وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب •• صنع الله الذى اتقن كل شيء •• انه خبير بما تفعلون •• » وكل متحرك لابد مصوت ، ولكننا

نحن لا نسمع الا قطاعاً خاصاً ، وصغيراً جداً ، من اصوات هذه العناصر المتحركة .. ان ما نسمعه منها بالنسبة الى ما لا نسمعه كالنقطة من المحيط بل هي اصغر .. ولقد قيدنا بعض الاصوات التي نسمعها فيما سمي بالحروف الرقمية وهي ، عندنا في اللغة العربية ، ثمانية وعشرون حرفاً ، هي الحروف الأبجدية المعروفة ، هذا اذا لم نعد لام الألف والهمزة المقطوعة .. وهناك كثير من الأصوات التي نسمعها لا تخضع في ضبطها للحروف الرقمية .. وجاء تسجيل الموسيقى للأصوات بصورة أوفى من تسجيل الحروف الرقمية .. وهو ذو سلم سباعي هدفه دقة التنغيم في الانتقال بين مستويين من مستويات الصوت ، وكأنه ، في ذلك ، حكاية لأطوار الخلق السبعة التي سبقت الاشارة اليها ، في امر الصفات ، والحواس ، والنفوس ، والسموات ، والأرضين ، والايام .. وغرض الموسيقى من اللحن المنغم ، المتسق ، المهذبه الحواشي ، ان توجد في داخل النفس البشرية نوعا من التنغيم ، والاتساق ، والتهذيب ، يحل محل التشويش ، والنشاز ، الذي يعتمل فيها .. هذا هو السر في الراحة التي تجدها النفس عند الاستماع الى قطعة من الموسيقى الراقية ، ومع ذلك فان الموسيقى ، في جميع مستوياتها ، قاصرة عن تأدية هذا الغرض ، الا لفئة قليلة جدا من الناس .. وهي ، حين تؤديه انما تؤديه في حد ضيق جداً وذلك يرجع لسببين رئيسيين ، أولهما : ضيق نطاق الاصوات الذي تعمل فيه الموسيقى ، اذا ما قورن بالاصوات من الحركات التي هي موروث النفس البشرية في منازلها المختلفة التي اوردنا اليها الاشارة آنفا .. وثانيهما هو أن الموسيقى لا تملك منهاجاً يقوم بترويض النفس البشرية ، وتدريجها ، حتى تستطيع ان ترتفق بالموسيقى الراقية فتحقق بسماعها قدراً من التنغيم الداخلي ،

والمواءمة ••

القــرآن هــو الموســيقى :

القــرآن المقروء ، والمحفوظ بين دفتى المصحف الشريف ، قــد حــوى جميع الاكوان القــديمة ، والحديثة •• وهــو هــو اللحن العلوى الكبير ، المنطلــق يرسم طريق صدور الانسان ، مــن منبعه ، وطــريق رجــوعه ، الى مصبه ــ الــذات الالهية ــ حواها ، وحــوى حــركاتها ، فلم يغادر منها شيئا •• قال تعالى ، فى الاشارة الى ذلك : « ووضع الكتاب ، فترى المجــرمين مشفقين مما فيه ، ويقــولون : يا ويلتنا !! مال هــذا الكتاب لا يغــادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا احصاها •• ووجــدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احــداً •• » معلوم ، لــدى المعنى القــريب ، ان الكتاب المقصود هنا هــو كتاب اعمــال الافراد •• ولكــن ، لدى المعنى البعيد ، فــان الكتاب هــو القرآن •• وهــو لا يغادر صــغيرة ، ولا كبــيرة ، فى ذرات ، واجرام ، الاكوان الا احصاها ، قيداً وشــمولا •• وفى نفس هــذا المعنى يرد الحوار الــذى جرى بين فرعون وموسى : « قال فمن ربكما يا موسى ※ قال ربنا الــذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ※ قال فما بال القرون الاولى ※ قال علمها عند ربى فى كتاب •• لا يضل ربى ولا ينسى •• » فان هــذا الكتاب انما هــو القرآن •• والقرآن انما رصد سير موجة الاكوان ، العلوية والسفلية ، وفى مقدمتها الانسان ــ رصدها بين الصدور والورود الى المنبع الذى منه صدرت ــ لأنه انما هو كتاب تسليك وهداية •• وفيــه يقول تعــالى : « وقلنا يا آدم اســكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهــا رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هــذه الشجرة فتكونا مــن الظالمين ※ فازلهما الشيطان عنها ، فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا !! بعضكم لبعض عــدو ، ولكم فى الارض مســتقر ، ومتاع ، الى حين ※ فتلقى آدم مــن ربه كلمات ، فتاب

عليه .. انه هـــو التواب الرحيم * قلنا اهبطـوا منها جميعاً !! فاما يأتينكم منى هـدى ، فمن تبع هـداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ...» هـــذه هى لمحة مـــن قصة اكتمال الخلقة ، واكتمال التقويم ، « يا آدم أسكن انت وزوجك الجنـــة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما » وهى قصة الخـروج فى طريق البعد « قلنا اهبطوا !! » ، وهى قصة الصـراع فى موطن البعـد ، والاغتراب ، « بعضكم لبعض عدو » وهى قصة أجـل الاغتراب ، فى موطن الاغتراب ، « ولكم فى الارض مستقر ، ومتاع ، الى حين » .. ثم هى قصة الاذن بالعـودة الى الوطن القديم « فتلقى آدم مـن ربه كلمـات ، فتاب عليه » .. ومن باب التوبة ابتداء طريق العودة الى الوطن القديم «فاما يأتينكم منى هـدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .. وهذا الهدى انما هـو القرآن : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .. ومعنى ما فى هـــذه الآيات الكـريمات هــو ما ورد فى قوله تعالى فى سورة والتين : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنـوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجـر غير ممنون .. » ولا تتم الهداية ، فى طريق العودة بالقـرآن ، لجميع الخلائق ، فى دار واحدة ، فان منهم مـن تبدأ هدايته فى الدار الدنيا ، ومنهم مـن تبدأ هدايته فى الدار الاخرى .. وكلهم مصيره الى السير السرمدى علـــى طريق الرجعى الى الله ، فانه ما مـن الله بد .. « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » ..

لقد تحدثنا فى متن المحاضرة ، عن ان الاصل فى صناعة الأوتار التى تنقل الالحان ، انما هى تجربة بخيط ، يثبت فى طرفيه ، ثم ينقر ليتذبذب بكليته ، وترصد ذبذبته ، ثم يقسم الى نصفين ، وينقر كل نصف،ثم يقسم الى أثلاث ، والى أرباع ، وهكذا .. وترصد ذبذبة كل جـزء .. هكذا الشأن فى القــرآن ، فان الوتر الــذى يعـزف فيه لحنه مشـــدود بين

طرف الصدور والورود ، وتتحرك فيه نقطة ، تمثلها ، في الوتر الموسيقى ، النقطة التى تقسم الخيط الى اثلاث ، وارباع ، واثمان •• الخ الخ •• فالطرفان المشدود بينهما وتر القرآن هما : الذات لدى الصدور (الحقيقة العبدية) ، والذات لدى الورود (الحقيقة الالهية) « ان مثل عيسى ، عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين •• » ثم بدأ تحرك الحق ، تنزلا من الحقيقة ، فى منازل البعد ، منزلة ، منزلة ، فى سلم سباعى ، حتى نزل الحق منزلة اسفل سافلين •• وهذا التنزل ، فى طريق البعد ، هو ما وردت اليه الإشارة بقوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• ومنزلة اسفل سافلين منزلة حق •• فما هى بمنزلة باطل ، الا فى حكم الشريعة •• والحق دائماً نسبى ، والحقيقة مطلقة •• والحق يتحرك يطلب الحقيقة ، وهو يدخل مداخلها كلما تخلص من طرف الباطل الذى اقام عليه حكم الشرع •• ونحن ، لطرف التنزل من المصدر الى منزلة اسفل سافلين ، لا نعطى مجالا فى مقدمتنا هذه ، وانما نعطى كل اعتبارنا لطرف العودة الى المصدر من منزلة أسفل سافلين •• وانما ذلك لمكان الارادة البشرية فى هذا الطرف ، وانعدامها فى ذلك •• ولم تجيء الارادة البشرية فى طرف الورود ــ السير فى مراقى القرب ــ الا فى وقت متأخر ، ولكنها ، مع ذلك ، قد اعطت هذا الطرف منزلة الشرف على طرف التنزل •• والموسيقى القرآنية التى تهمنا الآن ، انما هى معزوفة على الوتر المشدود بين اسفل سافلين ، وبين الحقيقة الالهية ، فى أول نقطة الورود •• فى هذا المضمار يرد الترقى بوسائل الشريعة ، ووسائل الطريقة ، ووسائل الحقيقة •• وهذان الطرفان (الحقيقة الالهية ، واسفل سافلين) نقيضان ، أو قل : ضدان ، أو قل : زوجان •• وكما ان الموسيقى حركة بين طرفين ،

تريد أن تملأ الفــراغ بالنغم المنسجم ، المتسق ، فكــذلك العبادة ، هى محاولة لملء الفراغ بين طرفين بتحرك منسق ، ومهــذب ، من الطــرف الأدنى الى الطــرف الاعلـــى ، مــن غير قفزات ، ولا نشــوز ، ولا اضطراب ٠٠ وهـــذا وجه مــن الشبه كبير بين اللحــن الموسيقى ، فى الموســيقى ، واللحن الموسيقى ، فى حياة الحى ، العاقل ، السالك ٠٠ وانما جاء القرآن بموسيقاه التى ذكرناها ليرشد السالكين فى طــريق عودتهم ، مــن الاغتراب الى الوطن ــ مــن البعد الى القــرب ــ أو قل : من الادنى الى الاعلى ، أو قل : من الحيوانية الى الانسانية ٠٠ « الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ٠٠ » ٠٠ والضدان ، أو قــل : الزوجان هما أصــل الوجــود الحادث « ومــن كل شىء خلقنا زوجيــن ، لعلكم تذكرون * ففــــروا الى الله ، انى لكــم منه نذير مبين » ٠٠ وانما خلق الله ، فى الوجود ، الزوجين ٠٠ لنفهم عنه نحن لأن عقــولنا لا تميز الاشياء الا باضدادها ٠٠ فنحــن لا نعرف الحلو الا بوجود المر ، ولا نعرف الخير الا بوجود الشر ، ولا نعــرف الحياة الا بوجــود الموت ، ولا نعــرف النور الا بوجود الظلام ٠٠ فكل شىء قد خلق زوجين اثنين « سبحان الذى خلــق الازواج كلها : مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون ٠٠ » وفى قمة الازواج : الله والانسان الكامل ٠٠ والى هـــذا الاشارة بقوله تعــالى : « ومما لا يعلمون » ٠٠ وفى سيرنا فى العوالم انما نحـــن سائرون الى الله ــ

انما نحــن مرتفعون مــن الادنى الى الاعلى ــ نستمين ، فى سيرنا ، بالتمييز المســتمر الــذى تروض عقــولنا عليه الازواج المختلفة ، فى الموجــودات المختلفة ، اذ نحــن مامورون بالسير من الموجــودات الى الموجد ، ومن الاكوان الى المكون ، « ففــروا الى الله ، انى لكم منه نــذير مبين » ٠٠ وانما انزل الله القــرآن ليعيننا علـــى تسديد ،

وترشيد ، فرارنا هـــذا ، من كل ما سوى الله ، الى الله ••

ولقـــد استعمل القرآن فى موسيقاه الحرف ، واستعمل الكلمة •• استعمل الكلمة فى دقة مـــن المعانى معجز ، وفى جمال مـــن التركيب معجـــز ، وفى لحـــن مـــن النظم الفنى يبعث فى النفس الطـــرب ، والنشاط ، والرغبة فى التكرار الـــذى لا يمل •• ولم يستعمل القـــرآن الحروف الا بعـــد ان استنفد وسع الكلمات •• وهـــو انمـــا استعمل الحـــروف ليخبرنا ان معانيه اكبر مـــن ان تؤديها الكلمـــات ، مهما طوعت •• وتبدأ الحـــروف ، علـــى ذلك ، بعد ان تعجز الكلمات ••

ولقـــد استعمل القـــرآن اربعة عشر حرفاً ، من الحـــروف الأبجـــدية الثمانية والعشـــرين ، فى افتتاح تســـع وعشرين ســـورة ، علـــى اربع عشرة تشكيلة •• ومعانى الحـــروف عنده تتنزل فى ثـــلاث مراتب : مرتبة الحـــروف الرقمية ، وهـــذه هى الثمانية والعشرون حـــرفاً المعروفة فى أبجدية اللغـــة العربية •• وأعلـــى منها مرتبة الحـــروف الصوتية ، وهـــذه تتعلق بالأصوات •• والاصوات بدورها تتعلـــق بالحـــركات •• ولقـــد قررنا ان جميع ذرات الوجـــود فى حـــركة لا تنقطع •• فهى اذن مصوتة ، واصواتها لا تنقطع •• فنسبة الحروف الرقمية الى الحروف الصوتية كالقطرة الى المحيط •• ثم أوسع مـــن هـــذه ، وتليها فى الرفاعـــة ، مرتبة الحـــروف الفكرية •• وحـــركة الفكر اسرع مـــن حـــركة المادة ، فى الطف صورها ــ الضوء •• حركة الفكر اسرع مـــن سرعة الضوء •• فالحروف الفكرية تكـــاد فى سعتها تلحق بالاطلاق •• وهى ، فى الحقيقة ، تقف علـــى عتبة الاطلاق •• فعندما يتناهى الفكر فى الحـــركة يعجز عـــن الحركة ، ويتوقف •• وفى نقطة توقفه يبدأ الاطلاق •• وهـــذه النقطة هى قمة ما توصـــل اليه اشارة القرآن •• فالقـــرآن ، فى جملة ما تؤدى كلماته ، وحروفه ، ليس هـــو عبارة عـــن الذات ، وانما هـــو مجـــرد اشارة الـــى

الذات •• فالذات فوق العبارة ، وهى ، فى الحقيقة ، فوق الاشارة •• فغاية ما تؤدى اليه موسيقى القرآن هى توصيلنا الى عتبة الذات ، ثم تخلى بين حياتنا ، وبين الحياة السرمدية ، الخالدة ، التى لا تحيط بها العبارة ، وتقصر عنها حتى الاشارة •• (راجع الرسالة الثانية من الاسلام) ••

فقمة ما تؤدى اليه موسيقى القرآن اذن هو قمة ما تنتهى اليه الحروف الفكرية •• وانما تنتهى الحروف الفكرية الى حالة التوقف — الى حالة عجز الفكر عن التفكير — وذلك ما سمى ، عند الصوفية ، بحالة العجز عن الادراك ، وقد قالوا فيه : العجز عن الادراك ، ادراك •• وهو بعينه ما يعرف عندهم بحالة الحيرة •• وعن هذه الحالة يقول سلطان العاشقين ابن الفارض :—

زدنى بفرط الحسن فيك تحيرا ❊ وارحم حشى بلظى هواك تسعرا ••

وهذه الحالة هى حالة الوقوف على عتبة الذات •• وانما يحار الفكر فيها لانقطاع الضدية عنها •• فهى أحدية الصفة ، وترية الوجود •• وفى هذا المستوى يبلغ الفكر ذروة قوته ، واستحصاده •• ويبلغ القلب ، تبعاً لذلك ، قمة رحابته ، وسلامته •• ويبلغ الحى بهذين قمة حياة الفكر وحياة الشعور •• وهذه هى الحياة التى ينتهى اليها الترقى فى الصفات السبع ، التى هى صفات الهية ، وقد وردت الاشارة اليها فى أول المقدمة ، وهى : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام •• هذا باعتبار التنزل — باعتبار السير فى طريق البعد — أما باعتبار المعراج — باعتبار السير فى طريق الرجعى من البعد الى القرب ، ومن الاغتراب الى الوطن ، فهى تتصعد هكذا :— الكلام ، فالبصر ، فالسمع ، فالقدرة ، فالارادة ، فالعلم ، فالحياة •• وهذا هو اتجاه موسيقى القرآن الذى سقناه الى عتبة حيرة الفكر ••

أن الفكر لهـو الاكسير الذى به تتسع الحياة ، وتتعمق •• وهو ، مـن اجل ذلك ، وظيفة القـرآن الاولى •• ولقـد قال تبارك وتعالى فى ذلك « وما أرسلنا ، مـن قبلك ، الا رجالا ، نوحى اليهم ، فاسألوا اهل الذكـر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات ، والزبر •• وانزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم •• ولعلهم يتفكرون » •• « وانزلنا اليك الذكر » يعنى القـرآن كله « لتبين للناس ما نزل اليهم » وهو القـدر من القـرآن الذى يطيقونه ، ويحتاجـونه ، تبينه بالتشريع ، وبالتفسير •• « ولعلهم يتفكـرون » يعنى ان الغـرض من ارسـال الرسول ، ومن انزال القـرآن ، ومـن تبيينه بالتشريع وبالتفسير ، هـو ان يتفكر الناس ، وان يقـوى تفكيرهم بالرياضة ، وبالمرانة فى العبادات •• ولقـد افادت الآيـة السابقة لهـذه نفس المعنى •• فكأنما جميع رسـالات السماء ، وجميع كتب السماء ، مطوعة لترويض الفكـر •• فالفكر هـو خادم الحياة القـوى ، الأمين •• ولقـد سايرت موسيقى القـرآن الفكر ، مـن لدن اسفل سافلين — مـن لدن بروز الانسان فى المادة غـير العضوية (ذرة غاز الهيدروجين) ، حتى بلغت هـذه المـادة غـير العضوية مرتبـة المـادة العضوية ، ببروز حيـوان الخلية الواحـدة ، ومـا انفكت تسـايره ، وتتعهده ، وتمخضه ، مـن حياة الحى ، كما تمخض الزبدة مـن اللبن ، حتى بلغت به طـور البشرية الحاضرة •• وهى لن تنفك تسايره ، وتتعهده ، وتروضه ، وتهذبه ، حتى تبلغ به مرتبة الانسان الكامل •• وهيهات !!

لقـد قررنا ان موسـيقى القرآن معزوفة علـى وتر مشدود بين طـرفين ، وتتحـرك فيه نقطة •• وقررنا ان هذين الطرفين هما : الباطل ، والحقيقة •• وقررنا أن الباطل ليس باطـلا مطلقاً ، وانما هو ادنى منازل الحـق •• وقررنا ايضا ان النقطة التى تتحـرك انما هى الحق ، متطوراً نحو الحقيقة ، منطلقاً من ادنى منازله •• ونقـرر هنا

ان هـــذه الهيئة انما هى هيئة الفكر •• فالفكر حـركة بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• فكأنما الهيئة هيئة ثالوث ، علــى الطرفين النقيضان ، ويتحـرك بينهما متحـرك هدفه التوحيد بين النقيضين ففى ذلك اكتماله ، واستواؤه •• فالفكر يبلغ اقـوى ما يكون حين يستوى علــى خـط الاستواء بين هـذين النقيضين ـ الذاكرة والخيال •• وعندما جعلت وظيفة القـرآن ترويض هـــذا الفكر ، وتهذيبه ؛ جعل خير ما فيــه الكلمة « لا اله الا الله » •• ولقـد جاءت لا اله الا الله بين النفى « لا » ، والاثبات « الا » ، فلكأنها تقرر أن الحـق ؛ اقوى ما يكون الحـق ، لا هـو الى طـرف النفى ، ولا هـــو الى طـرف الاثبات ، وانما هـو « بين بين » •• ونقطة « البين بين » هى نقطة الاستقامة التى قال عنهـا المعصوم ـ « شيبتنى هود واخواتها » ، وذلك فى قوله تبارك وتعـالى من سورة هود « فاستقم ، كما امرت ، ومـن تاب معـك ، ولا تطغوا •• انه بما تعملون بصـــير » •• ففى تحقيق الاستقامة تدريج الفكر ، وتهـذيبه ، وتقويته ، وتحييده عــن الميل لأى مـــن الطـرفين اللذين يتجـاذبانه •• وهـذه هى وظيفــة تحقيــق التوحيد ، بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » •• وانما مــن اجل تحقيقها جاءت عبادات الاســلام ، وعاداته •• جاءت الصـــلاة بحضرتيها ـ حضرة الاحـــرام ، وحضرة السلام ـ ولقـد فرضـت الصــلاة فـوق السموات السبع •• وجعلت حـركات الركعة سـبع حـركات •• وجعل السجود ، الذى هـو قمة حـركات الصلاة ، علـى سبعة عظام ، مـــن عظام الجسد •• فهـــذه الحركات « السباعية » هى بسبيل مـن منازل الحـركات السبع ، التى اكثرنا ذكرها فى حديثنا فى هـــذه المقدمة ، حتى لقـــد تحـدثنا عـــن السلم السباعى فى الموسيقى ••

وبمناسبة سلم الموسيقى السباعى ، فان حركة الفكر أيضا تسير فى

سلم سباعى •• لقـــد سبق ان قررنا ان الفكــر يتحرك بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• ونحـــن لا نخرج عـــن هـــذا المعنى اذا قررنا أن هـــذين الطرفين ، هما : الماضى ، والمستقبل •• فجولان الفكر بين طـرفى الذاكرة (الماضى) والخيال « المستقبل » يعزف على سلم سباعى ، هـــذا السلم السباعى يعـرف عنـد السادة الصـوفية بمراتب النفوس السبع •• وهى : النفس الأمـارة ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمـة ، والنفس المطمئنـة ، والنفس الراضيـة ، والنفس المرضية ، والنفس الكاملة •• ومراتب النفوس هـــذه انما هى طبقات العقل ، وهى هى طبقات النفس ، فى عين الوقت •• فالاطـراف اللطيفة مـن مراتب النفوس هى مراتب عقـول •• لذا ما الفـرق بين العقـل والنفس الا الفـرق بين الارادة والشهوة •• فللعقـل الارادة ، وهى مسيطرة ، وللنفس الشهوة ، وهى مقهورة ، ومروضة ، عنـد العقـلاء العارفين •• فالعارف لا يتحرك عن شهوة ، وانما يتحرك عن ارادة ••

وجولان الفكر بين الماضى والمستقبل انما ينتفى ان يعيش صاحبه فى اللحظـة الحاضرة ، لان اللحظـة الحاضرة هى وحـــدها الزمـن الحقيقى •• والـذى يعيش فيها وحـده هـــو الذى يحيـا الحياة الكاملة ، الخـالدة •• هل تدرون لماذا نجـد المتعة فى الفنون ؟؟ لانهـا تريح فكـرنا مـــن الذبذبة بين المـاضى والمستقبل ، وتتيح لنا فرصة العيش فى اللحظة الحـاضرة •• هـــذه خاصـية فى جميع الفنون ، تتفاوت فيها بضروبها المختلفة ، مـع الاشـخاص المختلفين •• فانت اذا سمعت قطعة موسيقية راقية ، أو شـهدت فيلما سينمائيا جيد الموضوع ، متقن الأداء ، فانك تظل مشدوداً الى الشاشة مثلا ، منحصراً فى تسلسل صور الممثلين ، ومنشغلا بادائهم ، بجمعية لا تبقى لك فرصة للتوزع بين المـاضى والمستقبل ، حتى لكأن الزمن قـد توقف ، فى حقـك ، فى تلك اللحظة التى تعيشها ، وهى لحظة تكاد أن تكـــون خـارج الزمان ••

الانتصار علـــى الزمن الــذى تحققه لنا الفنون الجميلة هـــو أس سعادتنا بها ، ومن ثم هـــو أصل تعلقنا بها •• هـــذا الانتصار على الزمن هـــو الحكمة فى مشروعية الصلاة ، التى هى أعلى العبادات•• ولقــد قررنا انها فرضت من فوق السموات السبع •• ونقرر هنا انهـا فرضــت فى موضعين ، على مستويين •• فاما الصــلاة الفرعية ، وهى المعــروفة بالصلاة الشــرعية ، فقــد فرضت فى موضع مقــام قــاب قوســين أو ادنى : « ثــم دنا فتــدلى * فكــان قاب قوســين أو أدنى » •• وهــذا مقام شفعية ــ شفع جبريل فيــه النبى •• وهى ، لمكان الشفعية هــــذه ، قد جاءت مرهونة بمواقيت : « ان الصلاة كانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتا » ، يعنى « فرضاً » له أوقات يــؤدى فيها •• وأما الصلاة الأصلية فقــد فرضت فى موضع مقام مازاغ البصر وما طغى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * مازاغ البصر وما طغى » ، وهـــذا مقام وترية •• تمت الوترية فيــه للنبى بتخلف واسطته عنه ــ جبريل ــ اذ ليس لــه ههنا مقام •• وانما دل علـــى وترية هذا المقــام وصف الله حـــال النبى فيــه بقوله تبارك مــن قائل : « مازاغ البصر وماطغى » •• و « البصر » ههنا « الفكر » •• و (مازاغ) يعنى ما انشغل بالمــاضى •• «وما طغى» يعنى ما انشغل بالمستقبل ، وانما توقف فى لحظته الحاضرة •• فكأن النبى قــد توحد ههنا ، حتى لقــد اصبح وحدة ذاتية ، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية •• وتدق هاتان الوحدتان حتى انهما لتخرجان عـــن المكان والزمان •• ومـــن ههنا فقــد تمت لــه رؤية مــن لا يحويه المكان ولا الــزمان •• ولمـا كانت هــذه الصلاة فى مقام الوترية فانها ليست مرهــونة بميقات •• وانما مواقيتها الانفاس الصاعدة والهابطة •• ولقــد قال النبى عـــن الصلاة الفرعية : « الصلاة معراج العبد الى ربه » •• وعــن الصلاة الاصلية : « الصلاة صلة بين العبد وربه » •• فجعلت الصلاة الشرعية

سلماً يرقى باتقـــانه المصلى الى مرتبة الصلة ، حتى يكـون فى حضرة دائمة مـــع ربه •• راجع (رسالة الصلاة) و « تعلموا كيف تصلون »

معلوم أن الصـــلاة الشرعية تبـدأ بداية هى مـــن البساطة بحيث يطيق أداءها باحسان اقل الناس ذكاء •• وهـــذه الصلاة تشكل قاعدة الهرم الذى قمته فى صلاة الصلة •• فاذا وضح ان الصلاة هى موسيقى القـــرآن ــ ولقـــد حاولنا توضيح ذلك فى مقدمتنا هـــذه ــ فان هـــذه الموسيقى ، اذا ما قـــورنت بالموسيقى المعـــروفة لدينا فى الفنون ، فان المقارنه لا تنهض ، وتنقطع ، مـــن جميع الوجـــوه •• والانشغال بها ، وبضروب الفنون الاخرى ، بخاصة للمبتدئين ، انشغال بخلاف الأولى ، وتقـــديم للمفضول علـــى الفاضل ، ومضـــيعة للوقت فى غـــير وجه حكيـــم •• وهـــذا ما مـــن اجله حـــرمت الفنون فى الاســـلام ، فى المرحلة •• أما للمنتهين المستوين علـــى الجـــادة فى نهايات السلوك ، فانها غـــير محرمة ، علـــى النحو الذى بينا ، فى متن المحاضرة •• ذلك لأن المستوين علـــى الجادة مـــن اصحاب النهايات يعرفون كيف يعطون كل مقام مقاله ، وكيف يرتفقون بجميع الاحياء والأشـــياء فى السير الى الله •• والى هؤلاء تقدمنا باهداء هـــذا الكتاب ، ولقد قلنا فى صـــيغة الاهـــداء :ــ

الى المتفتحين علـــى الله ،
السالكين اليـــه كل السبل ،
فانه ان مـــن شىء الا وهو
الى الله ســـبيل !!
« وان من شىء الا يسبح بحمده ،
ولكن لا تفقهون تسبيحهم •• »

وأما المبتدئون فانا ندعوهم الى أن يعبـــدوا بـــذكاء ، مبتدئين من الصلاة الفرعية ــ صلاة المعراج ــ الصلاة الشرعية المعروفة ــ سائرين

فى تقليد المعصوم باتقان ، وبذهن مفتوح ، فى سـنة عبادته ، وفيما يطيقون مـن سنة عادته •• انهم ، ان يفعلوا ذلك ، يرتقوا ، كل يوم جديد ، درجة جديدة مـن درجات القرب من الـذات العلية ، ويتهيئوا ليسمعوا تسبيح المسبحين بحمد رب العالمين ••

أما بعد فان هـذه المقدمة قد طالت ، وانا لنجـد مجال القـول فيها ذا سعة •• ولكن المجال ، والزمن ، لا يسعفان •• فلنقبض عنان القلم •• ولنضرع الى الله أن يهدينا ، وأن يهـدى بنا ، وأن يعلمنا ، وأن يعلم بنا •• انه نعم المولى ونعم النصير ••

بســــم الله الرحمــــن الرحيـــم

متـــن المحـــاضرة

نبدأ حديثنا عن : « الفنون والاسلام » ، أو . « الفنون فى نظر الاســلام » •• ولابد مــن الاشارة الى المقدمة الطيبة ، البليغة ، التى تكــرم بها السيد رئيس الجلسة •• فهى فاتحة خير ، أن شــاء الله ، لحديث نرجو ان يرفــع نظر الناس لمـا تدخره لهم السماء مــن سعة فى حياة الفكر ، وسعة فى حياة الشعور •• وما مــن شك أن الحــديث عــن الفنون يفتح هــذه السعة ، فى الفكر ، وفى الشعور ــ يفتح باب الفكر علــى مصراعيه •• وخاصة اذا ما قرنت الفنون بفيض الســماء ، فى القرآن ، وفى الاسلام •• ولذلك فقد كنت سعيداً جداً ، لأجد هــذه الفرصة ، لا تحدث لهــذا المستوى مــن المستمعين ، فى موضوع هــو أصل ما قام عليه الفكــر ، وما قامت عليه الحياة ، فى مدى ما عــرف الانسان الفكر والحياة ••

مــا هى الفنون ؟

والفنون هى عبارة عــن وسائل التعبير عــن ملكــة التعبــير فى الانسان •• وملكة التعبير فى الانسان أعمــق مــــن مجرد انهـا عمل فكــرى ، هى فى الحقيقة الحيــاة •• ملكة التعبير فى الانســان هى الحياة •• وكل حى معبر ، حتى فى حيواته الدنيا •• وتعبيره بالحيــاة فى الحياة ، هــــو حياته نفسها •• الحى عندما ياكــل ، الحى عنــدما يتناسل ، الحى عندما يفر مــن الالم ، ويحاول تحصيل اللذة ، هـــو فى كل أولئك معبر •• هــو معبر فى حياته بحياته ــ هو كليته تعبير •• ثم نحــن ، بطبيعة الحــال ، لا نطلق عبــارات الفنون على الحياة فى درجاتها الدنيا ، حيث تعبر بكينونتها كلها ، وانما نطلق عبارات الفنون علــى وسائل التعبير ، عــن ملكــة التعبير ، فى الفكر ــ فى الــذهن

البشرى .. الانسان يمكن ان يرى ان ارتفاع الانسان ، فى سلم الفكر ، عن الحيوانات التى دونه ، من الحيوانات العليا ، انما هو ارتفاع مقدار ، وليس ارتفاع نوع .. الانسان ، فى درجات ، واطوار ، تعبيره عن وجوده ، عندما تخشته الحيوات السفلى ، كان يعبر بلسان حاله ، زى ما دايما يقال فى التصوف ، فى عبارة بالمقال ، وفى عبارة بالحال .. فالحى ، قبل أن يكون عنده عبارة باللسان ، وهو ما امتاز بيهو الانسان فيما بعد ، بيسمى معبر بلسان حاله .. بعدين ظهر الانسان ، واصبح منقسم ، بين التعبير بلسان الحال ، وهو التعبير القديم ، الذى ورثه عن الحياة الدنيا ، وبين العنصر الذى جد بظهوره ، وهو التعبير بلسان المقال .. وفى المستوى دا الفنون خدمتها كبيرة لى آخر درجة للانسان .. الغرض منها ان ترتفع بعقله ، تفتق عقله ، تزيد من حيله ، وتضبط تفكيره ، تدقق تفكيره ، تفتح مجال تخيله ، وعاطفته الى الحد الممكن يرتفع بيه عقله حتى يكون تعبيره بلسان المقال فى مساواة تعبيره بلسان الحال ، الكان قبيل فى بدنه .. نحن باستمرار عقلنا بينمو .. عقل احدنا وجسده كانما فى كفتى ميزان .. نحن فى وضعنا ، اجسادنا عارفة .. دى نقطة افتكر كثيرا ما تجهل .. الاجساد عارفة ، الاجساد لا تخطىء ، ولكن تخطىء العقول .. نحن ، بوسائل التعبير والتمرين ، عاوزين نرفع عقولنا الى درجة الانضباط ، الذى به لا تخطىء ، حتى لكأننا بنحاول أن نوزن كفتى الميزان ، كفة اجسادنا مع كفة عقولنا .. اذا استطعت انت ان ترى ان كفة واحدة شايلة ، والكفة الثانية نازلة .. ولكن باستمرار عقولنا بتنمو ، حتى اذا استقام الميزان بالقسط ، تبقى عقولنا لا تخطىء ، كما ان اجسادنا لا تخطىء . عبارة ان : الاجساد لاتخطىء ، انا افتكر بتحتاج الى شىء من الشرح الزائد .. لكنى لا انوى ان اشرحها فى المقدمة .. باتركها للنقاش ، فيما بعد .. لكن

أوكد لكم انها نقطة مجهولة تماماً ..

الصـــــورة أصـــل الفنـــون

الفنون كثيرة ، ما نعرف منها ، وما سنعرف ، كل مرة ، كثيرة ــ الكلمة فى الشعر ، أو النثر ، الصورة بالفوتوغــرافيا ، أو باليـــد ، الموســـيقى ، النحت ، الرســـم .. الكلمـــة عندما قلناها تجىء فيهـا الغناء ، وتجىء فيها المسائل البتدخل فيهــو .. لكـــن كثيرة ، ويمكـــن للانسان أن يقـــول : الاصل فيها كلهـــا الصورة .. الاصـــل فى الفنون الصورة . ويمكن أن اقول : انو الصورة ــ الرســـم ــ يمكن أن يكون أبو الفنون كلها .. جائز ، فى نفس الوقت ، نشأت الموسيقى .. ما من شـــك انو قبل ما تتطـــور الموســـيقى ، بفنونها المختلفـــة ، وعلميتها ، ودقتها ، كانت نشـــأتها بدائية ، كبدائية نشـــأة الصورة ، والرسم .. الصورة هى فى الحقيقه قيمتها فى الفهـــم ، وفى الادراك ، اكبر من قيمة الموســـيقى ، واكبر مـــن قيمة الشـــعر ، والنثر ، والمسائل الأخـــرى المشاكلة لهـــا .. والصورة انما عرفها الانسان والفها مـــن الاحلام .. الاحلام صور .. انت لمـــا تحلم حلمه بتشوف صور متحركة .. الصور دى ، عند التأويل ، تنقلب الى معانى . من بدرى الصورة ، فى الحلم ، صحبت الانسان .. لعله مـــن مجرد ما بدأ يكون انســان ، وينقسم .. الحيوان ينام ، ولكنه ما بيحلم .. والانســـــان ينام ولكنه بيحلم . مافى عبرة بأنو ما بتذكر الحلم ، عندما يصـــحى ، فانه ، وان اصبح ناسى ، هـــو بيحلم .. لكـــن فى احلام بيذكرها ، وفى احـــلام بينساها .. فى احلام سامية ، وفى احلام مشوشـــة ، ومخلوطة .. ولكن ، مهما كان الامـــر فان الصورة قـــد كانت أول اســـلوب تعليم واســـلوب تعبـــير للانسان .. لعلنا ، نحـــن البشر ، اتعلمنا عـــن الدين ، وعـــن الحياة

الاخرى ، من الصور ، ومن الاحلام •• وبكل بساطة ، الانسان الاول لما كان بيرى أن أبوه المات ، بيراه بيعمل فى عمل زى العمل الكان بيمارسه فى حياته ، شايل طوريته يزرع ، أو شايل حربته يصيد ، أو بيعمل عمل فى بناء بيت ، صور زى دى أعطتنا الفهم الاولانى عن الحياة الاخرى •• ثم توكد هذا الفهم حتى جاء الوقت الذى اصبح الناس فيه متأكدين من الحياة دى ــ متأكدين حتى انهم كل ما يحتاج اليه الانسان فى حياته يدفنوه معاهو عندما يموت •• الصور دى ، هى المستمرة لغاية الوقت الحاضر ، فيما نصور نحن الاشياء •• والمعانى المجردة ما ها معانى مجردة ، الا لأن ادراكنا ليها قاصر ، ورؤيتنا لصورها عاجزة •• العقل القوى بيدرك المعنى المجرد كأنما هو صورة مجسدة •• النشأة دى اذاً نشأة قديمة جداً ، صحبت الانقسام الاولانى ، بين العقل الواعى ، والعقل الباطن •• الاحلام عبارة عن محاولة العقل الباطن ــ الذى هو ، بايجاز ، الجسد القبيل قلنا عنه ما بيخطىء •• الجسد وقع عليه كبت ، فى معنى ما وقعت سيطرة العقل على الشهوة عندما دخل الانسان مرحلة الانسانية •• الكبت دا عندما يرفع ــ الكبت اليمارسه العقل الواعى على العقل الباطن (العقل على الجسد) ــ عندما يرفع بالنوم ، العقل الباطن (الجسد) بيحاول أن يعبر عن وجوده بالصور البنسميها نحن الاحلام •• اذا كان الانسان شاف فى الاحلام الصور بالصورة دى ، يمكنك ان تدرك ، بصورة واضحة ، أن الرسم ــ التصوير تابع ليهو ــ هو أصل الفنون •• وبمجرد من ان الانسان عرف كيف يعبر ، كان التعبير بالصوت ، وبالاشارة ، وبالصورة ، ومما لا شك فيه ان الانسان الأولانى كان ، فى اغلب الاحيان ، بيرسم الحيوان البيصيده ، وكان فى فكرة ، ان رسم الحيوان البيصيده يعطيه قوة روحية وسحرية تعينه عليه •• الحيوان الانت رسمته دا ، أن كان رسمته

فى الارض ، أو فى جدار الكهف ، انت بتصيده •• ويمكن للانسان أن يقول ـ ودا على التحقيق ـ ان الحروف الأبجدية التى نحن ، فيما بعد ، أخذنا نكون منها الكلمة ، هى صورة من تطوير هذا الرسم الأولانى •• يعنى انت اذا كنت عاوز تعبر لى أنا عن تور ، بترسم لى التور •• ما فى عبرة ، بطبيعة الحال ، بأن الرسم دا دقيق أو ما دقيق، لكن المهم انى أنا بفهم عنك ما تريده •• بعض الناس بجيدوا الرسم ، وبعضهم ما بجيدوه ، لكن ، على كل حال ، العبارة بتجىء •• قليل ، قليل ، تمشى العبارة ، وتطورت ، وبدل انت ما ترسم التور كله ، يمكنك أن ترسم رأسه والقرنين ، وأنا افهم عنك •• ما فى داعى لرسم باقى الجسم ••

الموسيقى :

تطويراً من الصور جات الحروف •• الحروف الابجدية ، فى كل لغة من اللغات ، هى تطوير لصور كان الانسان بيخططها ، وبيرسمها فى الاول •• اذن الرسم ، هو بالصورة دى ، أول الفنون وأهمها •• تجىء مسألة الموسيقى •• الموسيقى برضها قديمة •• هى قديمة ، قدم الصورة لانها الحركة •• الموسيقى هى الحركة التى بها برز الوجود •• من دى جات موسيقى الصوت الموقع وموسيقى الآلات ، ومشينا نحن فيها نطورها لى قدام •• فالوجود دائما فى ثنائية ، بالصورة دى ال نحن شايفنها •• مثلا ، الليل بيعقبه النهار ، فهما نغمتان ، مثلا ، نحن بنمشى على رجلين ، بالصورة البنمشى بيها ، كأنما هما نغمتان •• كذلك ضربات قلوبنا ، هما نغمتان •• بعدين الانسان لما تقدم لى قدام ، حاول ان يملأ بالنغم المحسوب ، الهادىء ، المسافة ما بين هاتين النغمتين •• قل ان شئت حاول الانسان بطريقة علمية ، وحسابية ، أن ينتقل بين النغمتين الاولى ، والثانية ، انتقالا

هادئا ، منسجماً ، منغماً ، من غير شذوذ ، ولا نشاز •• وهذا ما سمى بالسلم الموسيقى • فالسلم الموسيقى قد توصل اليه بأخذ خيط يشد أوله من هنا ، واخره من هناك ثم يضرب ضرباً خفيفاً وتقاس ذبذبته ، ثم يقسم نصفين ، وبعدين يضرب بضرباً خفيفاً ، ويشوفوا الذبذبة بتاعته وتقاس ، ثم يقسم الى أثلاث ، وأرباع ، ثم تقاس الذبذبة وهكذا •• السلم الموسيقى جاء من حاجة زى دى •• وكذلك ملئت الفرقة بين النغمتين الكبيرتين •• زى دى ضربة قلبك الاولانية والثانية •• الفرقة دى تملأ بنغمات هادئة وموزونة تصعد على السلم الموسيقى السليم •• ولذلك الموسيقى عريقة بالصورة اللى يمكن للانسان أن يقول انها تضارع الرسم ، لكن ادراكها جاء متأخر اكثر •• اذا جينا نحن للنحت برضو قديم •• الغناء قديم ••

الفنـــون والأديــان :

لكن يمكن للانسان ان يقول : أنه ما من فن من الفنون ، الا ونشأ فى معابد الدين •• أصلو ما عرف دين ، ما فيهو موسيقى •• يجوز مسألة الرسم ، والنحت ، فى بعض الاديان ما فى •• **لكن الموسيقى ،** بصورها المختلفة ، ما عرف دين ما عندو ، حتى ولو كان الايقاع البكون بالطبل ، أو بكون بالطار ، أو بكون بالنوبة ، الى ان يجىء « للاورقن » بتاع الكنيسة ، بالصور المختلفة فيه •• لكن ما من شك فى ان الصلة كبيرة بين الفنون وبين الاديان •• والسبب فى علاقة الفنون بالاديان ، هو ان الأديان تعبير ، زى ما قلنا قبيل •• الملكه الفينا ، عاوزة التعبير **هى الحياة ••**

نشأة الأديــان :

الاديان نشأت من تجاوبنا مع البيئة •• الانسان الاول عندما شاف البيئة الحوله ، والقوة الهائلة الفيها ، استطاع ، بذكائه الفطرى البسيط ، أن يرى انو القوة فى البيئة المحيطة بيهو ، يمكن تقسيمها الى قسمين :ـ

فى قــوة هائلة ، رهيبة ، كبيرة ، شــعر مـن الاول انو ما عنـدو بيها قدرة •• وفى قوة بسيطة ، مثل الحيوان المفترس ، أو العدو •• المشاكل البتقع فى المستوى دا هـدته الى أن يتفنن فى الحيل لمواجهتها ومقاتلتها •• وكذلك فعل ••وا ما القوى الهائلة. فقد حاول ان يوجد نوع مـن الموافقة بينه وبينها •• حاول أن يوجد نوع مـن الصـداقة •• حاوليتملقها •• حـاول يعبدها •• دى كلهـا صور مـن الحيلة وعنها نشأت العبادة •• نشأت العبادة نشأة سـاذجة •• الواحـد يحب ان يقـول ، ودى نقطه بتحتاج لتوكيد ، أنو الانبياء ما جو ليقولوا لينا ، « الله فى » •• لـى دى نحـن مـا محتاجين •• نحـن البشر ، ما محتاجين لان يورونا أنه هناك قـوة هائله نحـن بازائها قاصرين ، وعـن منـازلتها عاجـزين ، وأن مـن الواجب ان نوجـد نوع مـن المصالحة معها •• سـميها ما شـئت •• ما مـن شك اننا نحـن ما سميناها بالصور المجـردة مـن الاسماء التوحيدية •• الرسل جـو لى دى •• الرسل جو ليعرفونا صفات الله ، واسماءه ، لكن ، للشعور به ، فقـد وجدوا الاستعداد عنـدنا مركوز فى فطرتنا •• اننا بنعرفه بمعنى اننا بنحس بيهو ، لكـن صفاته ، واسماؤه ، وافعـاله ، لكـن المعـانى المجـردة فيها ، البتخرجنا مـن التجسيد فى العبـادة الى التجـريد ، دا هـو ما مـن اجله جاء الرسل • فلـذلك الانسان الذكى ، والعـارف ، يشعر بان الدين نشأ نشأة فطرية ، وفى الارض ، وسابق للرسل •• ولعـل الرسل السابقين للاديان هم رسل العقـول ، مش رسل البشر •• العقـول دى أدركنا بيها وجـود الله ادراكـات سـاذجة ، وبدائية •• هنا عبرنا عـن مخاوفنا بازاء القوة الهائلة ، فكان الـدين •• ومن اجـل دا العـلاقة الكبـيرة بين ملكة التعبير ، وبين الدين ، وبين استخدام الدين لوسائل التعبير المختلفة فىالفنون •• قررنا ان الموسيقى كانت نشـأتها قديمة جدا •• ونقرر هنا عـن النحت

برضو •• الناس كانوا بينحتو الالهه كأصنام ، من بدرى خالص ، قبل ما يجيء اساتذة الفنون ، من اليونان ، ومن الرومان ، ومن غيرهم ••

النحت والعبادات :

النحت الساذج كان محاولة لتجسيد ما يتصوره الانسان عن الله •• ودايماً الانسان بيتصور الوجود فى صورته ، حتى الله ، نحن بنصوره فى صورتنا •• وكذلك حكمته الالهية جات على السنة الرسل لتعطيه صفات زى صفاتنا ، فلو لا أن الصفات مشتركة بيننا وبينه ، ما بنعرفه •• فى الغالب الأعم ، يمكنك أن تطلق المسألة دى ، ان النحت كان قد نشأ لنجسد بيه الصورة البنعبدها نحن ، فى حيز نقدر نحيط بيهو ، ونعرفه ، وندركه ، ودا ما سمى بالأصنام •• وما فى عبادة من العبادات الا ونشأ التجسيد فى معابدها ، النحت والفنون الاخرى •• الواحد يمكن أن يقول انها كلها فى البداية وجدت ملكاتها الأولى ، ثم تطورت ، بصور مختلفة ، فيما بعد ••

الحياة والفنون والجمال :

اذا كان قلنا : الفنون هى وسيلة التعبير عن ملكة التعبير فينا ، يبقى ملكة التعبير دى عاوزة شنو ؟؟ ملكة التعبير (الحياة) عاوزة أن يكون فى تنغيم للحياة ، عاوزة أن تكسر ، وتطامن ، الشذوذ ، والنشوز ، الفى الحياة ، عاوزة تناسق ، عاوزة جمال ، ان شئت •• لانه ، فى الجمال ، النفس البشرية بتجد طمأنينتها ، بتجد راحتها ، بتجد خروجها من شذوذ المغامرة ، والمخاطرة ، والمفاجأة •• يعنى النغم الموسيقى المنسجم بريح انفسنا لانو بيوحد ، فى الداخل ، طمأنينة تخرج مسألة الانزعاج البيجىء بالاصوات الصاخبة ، المفاجئة ، النشاز ، زى ما بنسميها •• كل

صورة فنية مـن صـور التعبير محـاولتها هي أن توجد الجمال ••

الفنون بشتى وسائلها ، وطـرقها ، محاولتها انمـا هي أن توجد الجمـال •• اذا كـان الانسان سأل عـن الجمال : هو شـنو ؟؟

مـا هـو الجمـال :

اذا كان قلت : ان الجمال هـو التناسـق ، مثلا ، فانت علـى حـق ، ولكـن ما كـل الحـق •• أنا أحب أن أقترح حـاجة هي في البداية في الموضـوع ، اقترح ان الجمـال هـو العدل الانساني •• العـدل الانساني يمكنك ان تقـول عليهو جمـال •• زيد عـن العدل الانساني •• تعال في المحبة الانسانية ، المعيشة مـع الناس في سلام ـ السـلام •• أنا أحب أن اقـدم ليكم النقطة دي لتكـون هي نقطـة اعتبار • ما مـن شك أنا عنـدي أن الجمال هـو السلام •• بعدين نحـن ما بنصل للسلام مـع الآخـرين الا اذا كنـا في سلام مـع أنفسنا •• السلام مـع انفسنا معناهو اخراج النشاز القائم في البنية البشرية •• البنية البشريةمقسومة •• القسمةالأولانية ، القبيلقلناها •• ولولا أن الانسـان انقسم ، لمـا اترقى ، في المكان الاول •• الحيـوان ما منقسـم ، الطفل ما منقسـم ، الا بما ورث • لكـن ، في عمـره البيعيشه في بداية حياته ، ما منقسم ، لكنو وارث للانقسام ، وبيعيش في المجتمـع البيقسمه ، ماشي لينقسم • •فلـولا أن الانسان انقسـم لمـا سـرقي ، ولمـا كمـل •• انقسامه بيمثـل انو عنـدو رغـائبه الأولانية البسترسل فيها كحيوان ، ما بيقيف عند حد •• ما في ضابط ، الا تحصيل اللذة ، والفرار مـن الألم •• واستمر الاندفاع دا ، ولكنه عندما جاء الانسان ليكون بيعيش في مجتمع ، وجـاء العرف ، وجـاء القانون ، وجاء الحـلال والحـرام ، اللي نحـن نوشك أن ندخـل في الكلام عنو ، فيما سنتحدث عـن الاسلام ، لمـا جاء الحلال والحرام ،

أو قل ، ان اردت الدقة ، لما جاء العرف الأولانى (يمكن دا تجوز كثير فى استعمال الكلمة ، لما نحن نبدأ فى البدايات) ، لكن مجرد أن يكون فى عرف يقول انو دا يعمل ، ودا ما يعمل ، بدأت الشخصية البشرية تنقسم ، بمعنى انو انت اصبحت فى حاجة تضبط اندفاعاتك الأولانية ، الكانت قبيل عندك مندفعة بدون ضابط •• رغائبك كلها ما فى استعداد لان تستجاب •• المجتمع عاوز حاجات ما تعمل •• انت احد رجلين بتكون •• الفرد كان فى الوضع دا احد رجلين : اما رجل استرسل ليفضى لبانته ، زى ما كانت ، وبطبيعة الحال ، بتقع عليهو العقوبة البتقع ، وهى قد كانت عقوبه صارمة جداً فى المجتمعات البدائية •• أو رجل يكون عندو مقدرة على أن يضبط نفسه •• كانت العقوبات العملت فى المجتمعات الماضية جلها من شريعة التحريم والتحليل •• العقوبات التى لا تزال عندنا الآن •• هذه العقوبات الغرض منها أن تقوى الارادة البشرية البتسيرك وفق ما يجب •• ومن هنا جاء الانقسام •• والانقسام دا مرحلة •• لولا أن الانقسام جاء ، لما ترقى الانسان •• اذا لم يزل الانقسام ، لا يكمل الانسان •• فنحن اذن بنترقى فى مرحلتين : المرحلة الأولانية هى الانقسام ، والمرحلة الثانية هى ضم الانقسام ، وتوحيد البنية البشرية الانقسمت ••

الى حد كبير ، الفنون فى التعبيرات المختلفة ، فى ابراز الجمال ، وقيم الجمال ، فى تنغيم حياتنا الداخلية ، وحياتنا الخارجية ، غرضها ان يكون الانسان مع المجتمع انسان محب للقانون ، انسان منظم ، انسان عندو سيطرة على اندفاعاته ، وعلى نفسه ، انسان يملك أن يسير بسفينته وسط الانواء فى الجماعة •• وهناك نوعان من التنغيم : تنغيم الفرد مع الجماعة •• وتنغيم الفرد مع نفسه • نحن بنحاول أن نطور الجماعة لتكون راقية ، حتى انك لمجرد تنغيمك نفسك معها ، وانسجامك فيها ، وتوائمك معاها ، تكون انت اترقيت •• ثم لابد

لك مـن المحاوله الفردية فى أن توجد التنغيم الداخلي بين انقسامك ، لاننا نحـن لما انقسمنا قامت فينا قـوة ضد قـوة ـ قوة العقـل الواعى (الارادة) ضـد النطـرة الأولانية « الشهوة » العاوزة تحصـل لذتهـا بكل سـبيل •• نحـن عاوزين نوجـد التنغيم دا بيناتن •• يمكنك أن تقول : فى نغمتين نحـن عاوزين نملأ الفـراغ بيناتن •• رى ما قلت ليكم عـن المـوسيقى ، عـن التعبير الفنى كله •• بالصور دى نوجد السلام الداخلى •• بالسلام الداخلى يجيء السلام الخارجى •• اذا كان الامر بالصورة دى ، فانى محـق اذ قلت ان العدل هـو الجمال ، وردت علـى المسألة دى وقلت الخلق ، وزدت وقلت المعيشة فى سلام •• السلام هـو الجمال •• أنا افتكر انو دا قمة ما نحـاول نحـن أن نعبر عنـو •• حتى التناسق فى اعضـاء الجسد اللى انت بتنحته ، دا يمكنك أن تسـميه عـدل ، اذا شئت •• اذا زدت عليهو ، فهى تبقى مسأله اعطاء كل عضو مكانته مـن الضبط ، والنسبية ، والدقة ، والقـوة ، حتى لكأنك بتوجد جسد فى سلام مـع بعضه ، ما متنافر •• التناسق سلام •• دا كل ما يمكن ان تهدفه ليهو الكلمـة ، اذا كانت شـعراً أو نثراً أو غناء •• كل ما تهـدف ليهو الموسيقى •• كل ما يهـدف ليهو النحت ، والتصوير •• كل ما تهدف ليهو التعبيرات فى الرقص ، وفى كـل وسائل التعبير عـن ملكتنا •• وهو هـو كل ما تهدف ليهو العبادة أيضا •

مـا افتكر ضـرورى نتكلم عـن الفنون اكتر مـن كدا ، لانـو المجـال مفتوح فيها لنقاش أطـول •• والآن نجيء لنظرة الاسـلام للموضوع دا :ـ

نظـرة الاسـلام الى الفنون :

أول ما يجب ان يقال انو ما فى حرام ، وحلال ، الا فى اعتبارات

الشــريعة •• ما فى حاجة هى حــرام فى ذاتها •• الاعيان مــا فيهن حرام ، لكــن الحــرمة حكــم •• والسر فى الحكــم ان تكــون عندنا الارادة البتســيرنا بين الحــلال والحــرام •• ناخذ مــن الحــلال ما شئنا ، ونجتنب الحــرام •• عنــدما تحــاول تجتنب الحــرام فى دوافع داخلية عاوزة منك ضبط ، وقوة ارادة ، وقوة فكر ، لتمنعك مــن التردى •• دى الحكمــة فى الحــرمة ، حيث وجــدت ، مـــن نشأة العــرف الأولانى ، والى يوم الناس دا •• ما فى حاجة هى حــرام فى ذاتها •• وربنا يعبر لينا عن دا ، ويقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم ، وآمنتم ؟؟ وكان الله شاكراً عليما » •• أو يقول : « قل من حــرم زينة الله التى اخــرج لعباده والطيبات مــن الرزق ؟؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة •• كذلك نفصل الآيات لقــوم يعلمون * قل انما حــرم ربى الفــواحش ــ ما ظهــر منها ، وما بطن ــ والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون •• »

كل المحــرمات مــن الصور الحسية انما هى حــرمة بالحــوالة واما الحــرمة بالاصــالة فانما هى عيــوب السلوك •• السلوك بيــدأ بالطــريقة البتعيش بيها ، فى ســـــلام مــع نفسك ، وفى سلام مــع الآخرين ، وهــــذا هــو مــا سميناه « التنغيم » مــع المجتمع ، أو العــدل ، أو الســلام ــ فكل ما حــرم انما حــرم من اجــل تربيتنا لنستطيع ان تكتمل عقولنا ، وادراكاتنا ••

الحــرمة حكــم شــرعى :

هنا ، اذا كان الانسان شاف النقطة دى حقيقة ، وذلك كونو التحريم حكم شرعى ، والحكم الشرعى ، دائما بتوخى تسييرنا نحــن فى المراقى المختلفة ، يبقى ، بطبيعة الحال ، وبالبداهة ، بننتظر ان يكون فى سماحة ،

ان يكون فى تغيير فى شدة التحريم كلما تغيرت ادراكاتنا ، ولذلك الحرمة كانت غليظة فى الاول ، وبدت تقل ، وتقل ، لغاية ما هى ماشة لان تفضى الى الحل •• القرآن يقول لينا « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح ، فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا ، واحسنوا •• والله يحب المحسنين » أو يقول هناك «قل لا أجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ، أو دما مسفوحاً ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به » فهذه اربعة •• ثم قال مواصلا سياقه : «فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فلا اثم عليه» •• الضرورة ترفع الحرمة •• المعرفة ترفع الحرمة •• لانه قد انتهى حظ النفس عند المضطر ، كما ينتفى حظها عند العارف بالله •• هنا ، اذا كان بقى واضح فى اذهاننا انو التحريم أطوار ، وان الحكمة وراءه تربيتنا ، يجيء موضوعنا فى الاسلام •

الاسلام بيحرم النحت ، وبيحرم الرسم ، وبيحرم ، تبعاً لذلك ، التصوير •• ودى فيما روى عن ابن عباس انه قال ان النبى قال : « من صور صورة يعذ به الله حتى ينفخ فيها الروح ، وما هو بنافخ فيها ابداً •• »

صور الفوتغرافيا الحرمة قائمة فى حقها ، ولكن بصورة أخف •• حرمت الموسيقى ، وحرم الغناء ، عند بعضهم ، ما كلهم •• بعضهم بيرى أن الغناء ما حرام ، لكن ، فى عبارة ، انو لهو ، وكل ما يلهى عن الله ، عند بعض المتشددين من الفقهاء ، فهو حرام •• الحكمة فى التحريم مرحلية •• السبب فيها انو الناس ، زى ما قلنا ، كان عهدهم قريب بعبادة الأوثان ، وبالجاهلية ، ويمكن أن يحنوا الى الاوثان بالعبادة اذا ما رأوها تنحت •• برضهم كانوا قريبين عهد باللهو ، فى مواخير الجاهلية ، من

غناء ، ومـن رقص ، ومـن موسـيقى •• حرمت عليهم المسـائل دى لتعطيهم فرصة ليجمعوا انفسهم عليهم بـدل التوزيع البيحصل للانسان المعرض للغناء ، للهـو •• اذن يمكنك أن تقول ان الاسـلام حرم مـن الفنون النحت ، والرسم ، والتصوير ، وكل ما يكـون ليه ظل •• حرم رسم أو تصـوير الانسـان ، أو الحيوان ، أو الطائر ••

رسـم الطبيعة غـير محـرم :

تسامح الشرع فى رسم الجبال ، أو رسم الشـجر ، أو زخـرفة الاقمشـة ، بالصور اليمكـن أن تكـون ماها انسان أو حيـوان ، أو طـائر •• الغـرض من التحـريم أن يقطـع حنين الانسـان للعبادة الوثنية •• أو ، بأيجاز ، يمكنك أن تقـول : ان تحـريم الدين ـ تحـريم الشريعة الاسلامية ـ للموضوع دا الغـرض منه مرحلى •• اذا كان هسع أى واحد مننا شـاف ليهو تمثال زى دا ، ما بينبعث فى ذهنه أى نـوع مـن العبادة ، أو أى شـعور بيها ، أو جيل •• الناس ، فى اول عهـدهم بالاسلام ، بينبعث فى ذهنهم شـعور زى دا •• لكـن ما ممكن أن ينبعث فى ذهنك ، أو فى ذهنى ، ولا فى ذهن أى واحد مـن الناس فى الوقت الحاضر •• لذلك الحكمة فى التحريم هـذا ، انما هى حكمة مرحلية ، الحكم فيها هـو حكم الوقت كيفما يكون •• والسر فى هـذا الحكم بينسـحب علـى حالة عبـادة النـاس فى وقتهم المـاضى ، كما ينسـحب علـى حالة العبـادة فى الوقت الحاضر ، ولكن لكل وقت حكمه •• فهـل يمكن للانسان ، مثلا الداعى الاسلامى ، فى الوقت الحاضر ، هل يمكن له ان يقـول للناس سيروا بطرق الفن الى الله ؟؟ بمعنى آخـر هل الدين (الشريعة) رفع كل اعتراضه علـى الفنون ؟؟ تلقى انو برضـو المسألة فيها نظـر •• هـذا النظر هـو تربية الانسان الفى حاجة لتربية •• كل مبتدىء

التوزيع يضره .. اذا كان الانسان سار بالطريق الديني المرسوم ليهو ، وكانت محاولته هي أن ينحصر في أن يوجد نتيجة بطريقة الدين ، اللي هي العبادة بالصورة الموجودة عندنا فان الفنون توزعه ، والتوزيع يضره ..

الفنون تسير الناس الى الله :

اما اذا استوى ، فمن الممكن لهذا الانسان أن يتخذ كل وسائل التعبير لتسيره الى الله .. الانسان الاستطاع أن يجد فرصة لتوجيه ، ورياضة نفسه ، حتى اصبحت عندو فلسفة حياة — عندو نظرة للاشياء ، عندو اتقان للتوحيد — ما في شيء ، بالمرة ، يقطعه ، أو يوقفه عن الله .. النحت يوديهو لي الله — يسيرو لي الله — الموسيقى تسيرو الى الله ، الرقص يسيرو لي الله ، وكل وسائل التعبير تسيرو لي الله .. في المرحلة الأولانية — في شريعة الاسلام — المسائل دي حرمت .. هي محرمة بنص الحديث القريتو ليكم ، وذلك لانها بتوشك أن تخلي الانسان يحن للعبادة — عبادة الاوثان — وتلك عبادة هو قد كان قريب عهد بيها .. أما في الوقت الحاضر ، في المرحلة الحاضرة ، فما أحب أن اقوله هو ان وسائل الفنون كلها راح تسير الناس لي الله .. هسع ، في الوقت الحاضر ، كل المطلوب من الناس هو ان يتوخوا ، في أول مرة ، كيف يسيروا ، بطريق العبادة ، ليوجدوا نوع من التماسك الداخلي ، نوع من النظرة الموسعة .. بعدين كل انواع الفنون راح تكون مسيرة الى الله ..

المبتدىء يضيق عليه :

بايجاز !! التحريم في النهج البدائي للاسلام مؤكد .. فهو ضد الموسيقى للمبتدىء ، ضد النحت ، ضد التصوير ، ضد

الرقص ، ضد كل مسألة من المسائل البتوزع المبتدىء •• اذا كان الانسان استطاع أن يحصر نفسه فى نهج واحد ، اللى هو العبادة ، ثم فى محاوله احراز التوسع (باتقان التوحيد) فى المسائل الاخرى ، من اساليب التعبير المختلفة ، والفنون اقدمها ، والكلمة اسلمها ، افتكر بيكون فى سعة فيما بعد •• لكن ، قبل ما تكون فى سعة ، القاعدة عندهم أنو المبتدىء ، زى ما بترد العبارة الدارجية : « المبتدىء ابرته ما بتشيل خيطين •• » •• المبتدىء يجب أن يكون عنده اتجاه فى الانحصار ، فهو لا يمكن ان يسمح ليهو ، فى مسألة الارتقاق بالفنون ، الا بالكلمة ، وموش بالموسيقى ، لان الموسيقى لا تعطى معنى محدد •• عندما انت يكون عندك استعداد لتدرك عن الوجود كله ، فان الموسيقى أبلغ من الكلمة ، لان الموسيقى تقول لك كل شىء عجزت الكلمة عن ان تقوله •• لكن عند المبتدىء الموسيقى بتشوش عليهو ، وأما الكلمة فانها محددة •• ولذلك تلقى ان القرآن يتخذ موسيقاه من الكلمات أولا ، ثم هو ينطلق فى موسيقى علوية ، كأنما هى موسيقى الوجود كله •• عند الكمال ، للمكتمل ، القرآن بيخرج عن كونو عبارات محددة ، ومضبوطة ، وبالصورة دى ، بيبقى وحى علوى ، يعلمك كل شىء ، بدون أن يعلمك شىء بعينه ، خصوصاً المتشابه من القرآن •• فاذا كان أنا شخصياً سئلت عن النهج اللى حقو يتجه ليه المسلمون كلهم ، فى الأمر دا ، أنا اعتقد أنهم كلهم يجب أن يتجهوا للعبادة ، بالانحصار فيها ، ثم فى تفتق الذهن ، فى اثناء العبادة ، فى معانى الكلمات من القرآن ، وفى الشعر الجيد ، من الشعر العرفانى ، وباستمرار يكون فى توسع •• وكلما انت اتقنت التوحيد ، كلما قلت دائرة المحرمات عليك ، الى ان تكون انت الانسان العندو الملكة التى تتلقى العلم بالله عن كل شىء •• مافى فى الوجود شىء ما بيدعو الى

الله •• ابليس ، زى جبريل ، داعى لى الله •• الله ، فى الحقيقة ، ما عندو عدو •• لكن ، فى مرحلة الشريعة ، الوجود مقسوم الى داعى لغير الله ، والى داعى لى الله •• مما يدعـو ، فى المرحلة ، لغير الله كـل ادوات اللهو، ومنها الفنون •• اذا كان انت استويت على الغاية ، بتسمع وترى الوجود كله جنود لى الله ، ودعاة لى الله ، ورسل من الله اليك تسـوقك لى الله •• فاذا كنت انت فنان موهوب ولكـن مـا وجـدت الفرصة لتنحصر فى العبادة ، لتعرف ، لتخرج من الثنائية دى بتجـويد مستوى مـن التوحيد ، مـن المؤكد ان الفنون قـد تسيرك درجة ولكنها راح تقطعك ، ما بتوديك لى قـدام •• اذا كان فى شىء ، مـن العلوم الدنية ، بسير الناس الى سماحة فى الخلق ، الى مستوى مـن التنغيم الداخلى ، الى نوع مـن العـلاقة الحسنة مـع الحياة ــ نوع مـن السعة ــ فأن ذلك الشىء لهـو الفنون ، ما فى ذلك شـك •• ولكـن وسيلة الفنون قاصرة الا اذا تم لهـا التتويج بوسيلة الدين •• فكأنو ،اذن ، الاسلام فى أوله ، وفى آخره ، اعنى فى دعوته الأولانية ، وفى دعوته الثانية بيحـرم هـذا المسـتوى مـن الفنون ، لكـن داك علـى التعميم ، اعنى شـريعة عمومية ، ودا لكـل فرد شريعته ، اعنى شريعة خصوصية •• الحاجة السليمة هى انك انت تتوجه ، وتنحصر ••

كـل الفنون حـلال اليـوم :

انا شخصيا ما راح اكون مـن البوصوا انو يجىء تشريع يقـول الفنون حـرام •• لكـن يجب ان يجى تفهيم للناس يقـول لكل واحد: اذا كنت انت ما اسـتويت ، فى التوحيـد ، علـى درجة معينةمـن الاستواء ، فان الفنون بتصرفك ، وبتوزع جمعيتك ، وبتقطعك •• الفنون هى خير اساليب التسيير الى الله ، ولكن بعد ما انت توجد نوع مـن التنغيم الداخلى ، بتجويد التوحيد ، بالانحصار فى العبادة ، بالخروج

مـــن الدوامة بتاعة المجتمع ، وبتاعة التغييرات المختلفة ، فى الفنون المختلفة .. لغاية ما انت توجـد نوع مـــن القالب المتصب فيهـو نفسك ، وتصوغ اخلاقياتك ، وتجـد فلسفتك .. فـان انت وجـدت فلسفتك فى الحياة ، فانك خليـق ان تنفتح علـى كل الفنون ، وكلهـا بتسيرك لى الله ، وسـيكون عندك حظ موفور مـــن ادراكها .. وقـد يكون عندك خط مـن تجـويدها ، اذا كنت فنان ، بكل وسـائل التعبير فيهـا ، باكثر مما يكـون عنـدك قبل ان توجد هـــذا النوع مـــن التربية الداخلية .. مـــن اجـل دا ، انا افتكر ، العبارات الكثـيرة الواردة فى الدعوة الى تنزيه القرآن ، وانه ما هـــو شعر .. القرآن يشبه الشعر ، وما هو بالشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له !!». وانت ، اذا جيت لدقائق القرآن ، فانه الشعر !! و اكثر من الشعر!! ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام ، وعدم الصدق ، هى ما نفـاهو الله عـــن القرآن ..

الاخـــلاق والفنـــان :

انا افتكر برضو الفنان ، كائناً مـــن كان ، سواء اكان نحات ، او موسيقار ، أو مصـــوراتى ، أو راقص ، أو ممثل ، بتلقاهو ما هـــو ملتزم ، ما عنـــدو خلقية معينة ، اللهـم الا خلقية بيعتقد ان الفـــن بيســتلزمها .. الخلقية الأنا بقصدها انما هى الصـــدق فى مســتوى الفعل ، القبيل انا قلته ـ الصدق الذى يتحد فيه الفكر ، والقبـــول ، والفعـــل .. انا ما بعتقد ان الفنـــان ما عنـــدو قيمـــة خلقية فى نفسه يلتزمها ، لكن ، ما من شك ، انو موش فى مستوى الانضباط اللى نحن بنقصده .. لعل الفنان ، الموزع بالصورة دى ، بتلقاه يظهر بمظهر البهدلة كدا .. يرسل لحيته بصورة بدون تهذيب ، ولا تنظيم ، أو يلبس ملابس مهزاة ، او يكون ماسائل فى النظام ، أو فى رأى المجتمع .. قد يكون،

انا افتكر ، انه هــو بيبحث عــن قيمة • انا بحب ان اهــديه للقيمة دى ، هى فى العبادة والقرآن •• سيجدها حاضرة حين يتجــه للالتزام بادب القرآن — ادب شريعته وادب حقيقته ••

هنــا اقف ، واترك ليكم الفرصة للنقاش •• اكتر مــن كدا كتــير عندنا مما يمكن ان يقال ، ولكــن ، ما مــن شك ، انكم بتعينوا كتــير بمشاركتكم فى النقاش لاجلاء القضية دى •• شكراً